٩- سامحه الله

قال الخليفة العباسي[١] المنصور لسليمان بن معاوية المهلبي: ما أسرع الناس إلى قومك.

فقال: يا أمير المؤمنين:

إن العرانين[٢] تلقاها مُحَسَّدةً

ولن ترى للئام الناس حُساداً

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٣):

ما أحدث الله بعبد نعمةً إلا وَجَدتْ لها

---

(١) العقد الفريد: ٢/ ٣١٢

(٢) العرانين: السادة الأشراف، الواحد عرنين.

(٣) رسائل الجاحظ: ٢/ ٣٤٤.

حاسداً، ولو أن إمراً كان أقوم من القِدْح(١) لوجدت له غامزاً.

وقال الخليفة المأمون: إن أبناء النعم وأولاد الأُسد محسودون.

ولهذا لن يسلم المسؤول من العداوة ومن الحاسدين، ومن لوم ذوي الحاجات والمصالح؛ حيث تغلبهم عواطفهم، وتهزمهم شهواتهم، والويل لك إن لم تستجب، والشنار لك إن لم تقض الحاجة.

وإني أتذكر بعض موظفي وزارة المعارف

(١) القِدْح، بالكسر: السهم.

ممن وصلوا للمرتبة العاشرة فقد غضبوا ولاموا وتطاولوا حين لم تشملهم الترقيات، واعتبروا أن الأمر شخصي حتى أنه وردني خطاب من أحدهم يقول فيه:

الأخ/ عبدالعزيز الثنيان سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

إني مخاطبك بكلام فاحتمله إن كرهته.. فإن وراءه ما تحب إن قبلته..

كنتَ موظفاً بسيطاً بجهاز الوزارة تتمتع بأخلاق عالية، وعملت بأكثر من جهة إلى أن عُينت مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولم

تتغير سجاياك وطباعك.. كنت محباً للناس والناس لك مُحبون .. تُساعد المحتاج وتذلل الصعاب، وتفتح صدرك ومشاعرك لكل ذي حاجة في محيط عملك وخارجه.. وتشعر بسعادة غامرةلما تسديه من أعمال خيِّرة لإخوانك وقاصديك لا تريد به إلا وجه الله.

وبعد تكليفك بالعمل وكيلاً للوزارة.. استبشر زملاؤك وعارفوك خيراً لما عرفوه عنك ولاقَوهُ منك، ولكن خابت آمالهم، وفشلت توقعاتهم؛ فلقد تغيرت الصورة الجميلة التي رسموها عنك في نفوسهم، فأصبحت فظاً غليظاً لكل مراجع، لا تقبل نقاشاً ولا بينة، وكأنما

تقـول هذا مـالدي.. فـلا حلم على جـاهل، ولا تقدير لكبير، وغاب عنك ما قيل:

وإنما الأمم الأخلاق مـا بقيت

فإن هم ذهبت أخـلاقهم ذهبوا

قهرت الكثيـر من موظفي الوزارة، ممن كانوا اللبنـة الأولى الذين أعطوا الكـثيـر فـي السنين العجاف، وأهدرت حقوقهم من حيث تدري أو لا تدري.. فهاهم مجمـدون في وظائفهم لأكثر من عـشـــر سنوات، وفي الوزارة لما يـزيد على ثلاثة عقـود، بينما يرون الترقيـة تذهب لآخرين أقل منهم من حيث الأقدمية والكفاءة والخبرة.

ويقول هذا الموظف في رسالته: والدوام بعد ثلاث سنوات من مجيئك للوزارة، وبعد أن أحكمت قبضتك، عقدت اجتماعاً لمناقشة الدوام وأصررت على أن لا يوقع الموظفون قبل الساعة الثانية والربع ظهراً، ولم تسمع الآراء التي طُرحت في الاجتماع حتى من قال لك: إن موظفي مكتب الوزير يخرجون في تمام الساعة الثانية، فما الذي حققته؟ إذا كان لمصلحة العمل فذلك لم يتحقق؛ لأن الموظفين لا يعملون بعد الساعة الواحدة والنصف. وإذا كان الغرض إثارة البقية الباقية من الموظفين لكرهك ودعاء المسنين منهم عليك فهذا تحقق.

انتهت رسالة هذا الموظف الغاضب سامحه الله وعفا الله عنه.

ومن خلال هذه الرسالة نعلم أن الرجل يريد ترقية ولم تتم، فأرغى وأزبد، ويعترض على الدوام والجدية في الحضور والانصراف، ويهزأ من ذلك، ويجزم أن الموظفين لا يعملون بعد الساعة الواحدة والنصف، مع أن الدوام الرسمي للدولة هو حتى الساعة الثانية والنصف ـ سامحه الله وغفر له ـ إنهم مجموعة من الموظفين تبتلى بهم الوزارات، ويكتوي بهم المسؤولون، ويصدق عليهم المثل القائل: «أَحَشفًا وسوء كِيلة».

وحين كنت أكتب هذا الموقف قرأت مقابلة

أجريت مع معالي الأخ الدكتور غازي القصيبي في مجلة الرجل بعددها الثاني والثمانين في يونيو ١٩٩٩م وكان مما قاله: (إني دخلت معارك شخصيّة عندما ابتليت بالعمل الإداري وابتلى العمل الإداري بي. كانت لدي نزعة للتغيير وكانت هناك مقاومة غريزية لأي تغيير، لأن أيَّ وضع قائم - مهما كان سيئاً - تحرسه مصالح قوية، خذ أبسط الأمور عندما تكون مسؤولاً عن دائرة حكومية وتحاول فرض الانضباط في الدوام على موظفين غير ملتزمين بالدوام، فمما لا شك فيه أن الموظفين سوف يقاومون محاولاتك.

ويقول غازي: حين تفرض معايير للتفرقة بين الموظف المنتج وغير المنتج يجب ألا تستغرب أن يثور عليك غير المنتجين. عندما كنت عميد كلية مثلاً، كانت هناك مشكلة بيني وبين بعض الزملاء تتعلق بالدوام. كانوا يرون أن الأستاذ الجامعي يلقي مُحاضرته ويذهب، ولا يجوز أن يلتزم بدوام يومي شأنه شأن موظفي الإدارات الحكومية. وكنت أرى العكس: على الأستاذ الجامعي أن ينضبط في دوامه شأنه شأن أصغر موظف في أصغر أرشيف. واجهت المشاكل نفسها عندما حاولت إدخال تغييرات في السكة الحديد، وفي وزارة الصناعة والكهرباء، عندما أردت دمج

الشركات الصغيرة في شركات موحدة، كانت هناك معركة كبيرة انتهت لصالح التطوير: عندما توجد الرغبة في التغيير؛ تولد الرغبة في المقاومة. هذه سنة من سنن الحياة).

انتهى رأي معالي د. غازي القصيبي.

وأقول: حقاً إن إدارة الموظفين همٌ ومعاناة وتطويرهم جهد وعناء، أعان الله المسؤولين عليهم، إنهم يحتاجون إلى الحزم والبشاشة والاحترام والجد، والقدوة والانضباط.

بل إن العفو والتسامح خلق يجب أن يتحلى به المسؤول؛ فقد شرعه الأدب الرباني والخلق القرآني، فتلكم قصة الصديق ـ رضي الله عنه ـ

خير منهاجٍ للمحتذين وأشرف طريق للسائرين.

فحين صار الابتلاء وخاض الخائضون ورموا زوجة رسول الله ﷺ ابنة الصديق عائشة -رضي الله عنها - بالإفك، ونزلت براءتها من السماء، وصارت البراءة قرآناً يتلى، وأصبحت الطهارة تأكيداً من الخالق عز وجل وبتْنَا نتعبدُ بقراءة تلك الآيات الشريفة، فإن أبا بكر الصديق -رضي الله- عنه أقسم ألا ينفق على مسطح بن أُثاثة؛ لأنه خاض مع الخائضين وتكلم مع المتكلمين، مع أنه ابن خال أبي بكر وأبو بكر يعطف عليه، وينفق عليه ولكنه قال وتكلم، وجاء الأدب الرباني. أن لا يا أبا بكر

سامح واعطف، واعف واصفح، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٢٣].

وَلَا يَأْتَلِ: أي لا تحلف يا أبا بكر ولا تقسم، بل اعف واصفح وعُد لإنفاقك وبرك وعطفك ولهذا قال أبو بكر - رضي الله عنه -: بلى والله إني أحب المغفرة وعاد للإنفاق والعطف والتسامح على مسطح بن أُثاثة.

إن هذا الدرس جدير بالتأمل وحريٌّ بالتوقف فلا يغضب المسؤول لنزوة موظف،

ولا ينتقم لجهالة من قال وتكلم، ولهذا أقول لذلك الموظف ولمن جهل وتجاوز: سامحكم الله، وعفا الله عنكم، وإياكم والغيبة فإنها ذل يقول الجاحظ:(١)

وليس أذلَّ من مغتاب، لأنه يُخفي شخصه ويطامن حسّه، ويَغضُّ من صوته، ولا يزيدُ ما يناله من ذلك إلا بأن يرفع من قدر خصمه ويُعظِّم شأنه.

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه(٢):

أتدري من النبيل؟ هو الذي إذا رأيته هبتَه وإذا غاب عنك اغتبتَه.

---

(١)، (٢) رسائل الجاحظ: ١/ ١٦٤ - ١٦٧..

وقال بهرام[١]، وسمع في الليل صوت طائر فتحدَّاه بسهم وهو لا يراه إلا أنه تتبع الصوت فصرعه، فلما صار بين يديه قال[٢]: والطير أيضًا لو سكت كان خيرًا له.

وقيل[٣]: يسألُ اللسانُ الأعضاء في كل يوم فيقول: كيف أنتُنَّ؟ فيقلن: بخير إن تركتنا.

(١) بهرام: أحد ملوك الفرس، قيل: إنه بهرام جورية يزدجردَ مَلَك ثلاثًا وعشرين سنة وأنه كان فصيحًا باللغة العربية.

(٢)، (٣) رسائل الجاحظ: ١/ ١٦٧.